نصـوص

نصوص ليست للقراءة

النصّ الأوّل

نيسان 2004

نصوص ليست للقراءة

النصّ الأوّل

«ما لأمر الناس ليسوا فرحين البتـّة؟.
يروحون وينتظرون فرحهم من الآخرين.
كان من الأجدى لهم أن يحملوا الفرح للآخرين؛ وبذلك كانوا سيغدون فرحين.»
آرنـه غاربورغ

لست تدرك ما الذي يدفعك للكتابة في هذه اللحظة الخارجة على فيزيائيّة الوقت. كما لست تعرف لماذا ترسم هذه السطور إليّ بالتحديد. تسأل: «هل يحقّ لنا أن ننشر أكاسيدنا الخانقة في أجواء من نحبّ؟». عليّ أن أعترف بأنّه لمن شبه المستحيل تفهّم ماتقصد.

كلّ لحظةٍ عابرةٍ في حياتك هي لحظة انفجارٍ داخليٍّ صامتٍ. تحاول اقتناص الوقت كي تغافل نفسك، وتلقي خارجاً تلك العوالم المنهكة التي تقضّ كيانك الداخليّ... لا تحصّل شيئًا من ذلك البتّة!. تتسمّر في حالة بحثٍ أبديٍّ عن أحدٍ يستطيع أن يشاركك قدَرك البائس... بالطبع، لا أحدا. تجهد لتحقيق مصالحةٍ مع الذات عبر سلامٍ داخليٍّ.. تحاول إيجاد انتماءٍ: لزمانٍ.. لمكانٍ.. لوجودٍ.. لذاتٍ!. تسترق الوهم المستقبليّ؛ لتغتال آنَك المتيبّس.. كلُّ شيءٍ غارقٌ في عتمة الرأس.. لا أحد قادرٌ على إنقاذ ماتبقّى من كيان!. لا شيء يجدي عبر اغترابك اللانهائيّ.

تسأل: «هل تفقد الأشياء معانيها.. مُتَعَها.. ماهيّتها؟». أحقيقةٌ أنّك تحبّ الحياة؟. «لستُ أدري إن كنتُ ما أزال أفعل ذلك»، تقول لي. سنونٌ مضت، ولكن مع ذلك لم تُرِدْ أن تُقرَّ بأنّك ألقيت بها بعيداً. أغلقت نفسك خارج العالم. جلست في عزلتك الحالكة، ورحت ترثي حظّك العاثر. «إنّه لمن المفيد أحياناً أن يشفق المرء على ذاته»، هكذا تفسّر حالتك. ولكن تذكّر أنّ السنين تمضي وتتّبع إرادتها الخاصّة.

السنون تهرب، وأنت تعارك لاستعادة أناك التي ما استطعتَ إيجادها قطّ. السنون تختفي، وأنت تحاول المرة تلو الأخرى أن تكون راضياً بما تفعل وبما فعلت. السنون تأخذ نفسها بعيدًا، وأنت دائماً تبتغي أن تعرف لماذا لا تجرؤ على البوح بشيءٍ عمّا يوقد صراعك الداخليّ. «آه، أيّ صراعٍ!»، تتأوّه شاكياً. جميع محاولاتك باءت كلّيّاً بالفشل.

حتّى عندما تكتب إليّ، لا تقدر على تحرير عوالمك الروحيّة المغلقة، مثلما كنتَ اعتقدتَ. في اللحظة ذاتها التي تكتب خلالها كلمةً، أو تخطّ سطراً؛ تتوقّف متردّداً، وتعدل عن القيام بذلك قبل أن تبدأ. كلّما فكّرت بالصراخ رفضاً لكلّ شيءٍ، أخمدت نفسك في الحال مرتعدًا. لماذا؟. أتعرف لماذا؟. الرهبة من مواجهة الذات؟. من أين تأتي هذه الرهبة؟. «لا أعرف!»، ذلك هو ردّك. حسناً، من ذا الذي يعرف إذاً؟. أنا؟. إنك لا تجرؤ على كتابة حتّى سطراً واحداً؛ لأنّك تخشى نفسك، ولأنّك تخاف أن تدرك كم تكره نفسك. المفارقة أنّك تكتب الآن رغم عدم امتلاكك الإرادة من أجل فعل الكتابة. للصدق، ليس بإمكانك أن تتصوّر لماذا أو كيف!. ماتعرفه هو أنّك تمكّنت من أن تلصّ الزمان من ذاته لارتكاب فعل الكتابة، ولكي تسجّل عجزك عن توصيف انفجارك.

عبثٌ.. خواءٌ.. غباءٌ كلّه الوقت!. لم تعد واثقاً من قدرتك على الاستمرار في هكذا خواءٍ باردٍ عديم الملامح، ولا من أنّك تستطيع أن تحبّ الحياة!. الاغتراب ينمو كمستعمرةٍ سرطانيّةٍ. إنّه يهدّك!. اغترابٌ عبر كلّ شيءٍ فيك!. بالمطلق كلّ شيءٍ: الأزمنة والأمكنة والناس وكلّ شيءٍ فيك!.

لاتُعَدُّ هي المرّات التي حاولتَ خلالها التمرّد على تدميرك الذاتيّ. لم تُوفَّق قطّ!. لم تكن سلبيّاً سلبيّة الحجر وحسب، ولا غير مبالٍ لا مبالاة الجبال وكفى، بل كنت عاجزاً عديم الحول مسلوب الإرادة كأسير حربٍ أيضاً.

كلّما سعيت جاهداً لتسبر كينونتك، وجدتُّكَ خارج العالم وخارج الزمان وخارج جغرافيّة ما كان يُدعى مرّةً «أن أكون». لا، بل خارج كلّ شيءٍ!. لقد قرّرت للتّوّ أن تغتال أناكَ ــ بوعيٍ أو بغير وعيٍ ــ حتّى قبل أن تغتال كينونتك. ما استطعت إلى ذلك سبيلاً!. إنّك تعبٌ من هواء الأرض ومن أسْرِ انفجاراتك. إنّك تعبٌ من الصمت ومن شراسة الكتمان. لا، إنّك تعبٌ من كلّ شيءٍ!. مختصر القول: «يا لسعادتك!»...

إنّك لست سعيداً، ولا تستطيع أبداً أن تكون سعيداً، كما أنّك لست قادراً على أن تحظى بشيءٍ اسمه «الفرح»!... لا جدوى منك!. أفق الآن!. أفق الآن، وتبدّى كمحيطٍ معتصمٍ!.

لديّ رجاءٌ واحدٌ منك.. رجاءٌ واحدٌ فقط: توقّف عن الكتابة إليّ حول «آلامك» المثيرة للغثيان!، وتذكّر: «كلّما طال سُباتُك، عجُلَ موتك!».

محمد المير أحمد

نيسان 2004

جميع الحقوق محفوظة – Copyright © Adon Elmir